دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

"النصائح" في كتب الآداب السلطانية
دراسة في بنيتها وصلتها بثقافة الاعتدال

أ.د. إبراهيم القادري بوتشيش
أستاذ التاريخ الوسيط الإسلامي
جامعة مولاي إسماعيل – مكناس
المملكة المغربية

مُلَخّص

تخوض هذه الدراسة في موضوع نحسب أنه لم ينل نصيبه في الدراسات التاريخية، وهو موضوع النصيحة. وتنطلق من افتراض منهجي، مفاده أن النصيحة شكلت عنصرًا أساسيًا من بنية ثقافة الاعتدال في المجتمع الإسلامي خلال العصر الوسيط. لتأكيد صحة هذه الفرضية، اعتمدنا على أربعة متون من كتب الآداب السلطانية مشرقية ومغربية، بهدف استخراج مجموعة من النصائح التي أوردها مؤلفوها كنصائح موجهة للحاكم، لتقريبه من قلوب الرعية، وإصلاح الدولة والمنظومة السياسية. بيد أننا لم نكتف بسرد تلك النصوص كما وردت، بل سعينا إلى دراسة بنيتها ونسيجها الداخلي، واستخراج المضمرات الرمزية الكامنة وراء سطورها، لاستشفاف مناهجها المعتدلة التي كانت تروم تحقيق إصلاح سياسي-اجتماعي سلمي، من دون عنف أو تطرف. وتأسيسًا على ذلك، قسمنا الورقة إلى ثلاثة محاور: تصدى المحور الأول للجهاز المفاهيمي للنصيحة لغة واصطلاحًا، مع استخراج دلالاتها الرمزية، ومرجعيات الحكمة فيها، بما يؤكد صلتها بثقافة الاعتدال، ناهيك عن استكشاف سمة الاعتدال والوسطية التي ميزت الطرف الناصح الذي هو الكاتب السلطاني. في المحور الثاني جرى تشريح مكونات النصيحة في كتب الآداب السلطانية ومرجعياتها، فاتضح أنها تشكلت من خلال أربعة روافد ساهمت في صناعة ثقافة الاعتدال، وتتجلى في البعد الكوني الحضاري الذي لا يتعصب لعرق أو حضارة بعينها، والرافد الشرعي المتجاوب مع الواقعية السياسية المعتدلة، البعيدة النظر، ثم المرجعية التاريخية التي تحيل على الوسطية، وعلى الشورى، والتحذير من الاستبداد أو التطرف في الرأي. وجرى في المحور الثالث تحليل الأساليب المعتدلة التي نهجها كتاب الآداب السلطانية في تبليغ نصائحهم للحاكم، وتتمثل في سرد الشواهد التاريخية العاكسة للوسطية والتعقّل، والتلطف في التواصل مع السلطان، واتباع أسلوب الحجة والإقناع، وتوظيف الحكي والاستعارات لتبليغ النصائح له، تحاشيًا لإحراجه، وبلوغ أهداف إصلاح الحاكم بالكلمة والموعظة.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٠٥ ديسمبر ٢٠٢١
تاريخ قبـول النشـر: ١١ يناير ٢٠٢٢

كلمات مفتاحية:

التراث الإسلامي؛ الكاتب السلطاني؛ النصائح؛ السرد الحكائي؛ التاريخ الإسلامي

معرّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/KAN.2022.271684

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

إبراهيم القادري بوتشيش. "النصائح في كتب الآداب السلطانية: دراسة في بنيتها وصلتها بثقافة الاعتدال".- دورية كان التاريخية.- السنة الخامسة عشرة- العدد الخامس والخمسون؛ مارس ٢٠٢٢. ص ٥٧ – ٧٣.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: be_boutchich@yahoo.fr
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كان التَّاريخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

ظلّ موضوع النصيحة وثيق الصلة بالخطاب الوعظي-الديني والمجال التربوي، أو بالخطاب السياسي والأخلاقي، في حين بقي مغيّبا نسبيًا في الدراسات التاريخية، ولم يوضع على طاولة المؤرخ للمساءلة والتشريح والتحليل. لذلك نسعى في هذه الورقة البحثية إلى تناول النصيحة في سياقها التاريخي، وتفكيك بنيتها الداخلية، ومعالجتها كخيط من الخيوط الناظمة لثقافة الاعتدال في المجتمع الإسلامي خلال العصر الوسيط.

ينطلق منظورنا في هذه المعالجة من فرضية تقوم على ربط الصلة بين النصيحة والاعتدال، باعتبارها شكلاً من أشكال الحوار الهادئ، المؤسس على التأمل والتدبّر، وبعد النظر الذي يروم تحقيق مصلحة الفرد والجماعة. بل تجسّد صورة متكاملة تتعاضد فيها الأفكار والآراء بهدف إيجاد حلول مسنودة إلى منطق الحكمة، وتجارب العقل الجمعي، بصيغة تبادلية تحول دون احتكار للرأي، وتحصين للفكر من الانجراف نحو الاستبداد، والفكر الأحادي الذي يدّعي امتلاك الحقيقة دون غيره، وهي بذلك تشكل آلية من أهم آليات تأسيس ثقافة الاعتدال، بطريقة سلمية لا مجال فيها للإكراه والتسلط، أو فرض الرأي على المخالف.

ويحفل التراث الإسلامي بمخزون محترم من النصائح الدينية والأخلاقية والتربوية والاجتماعية والسياسية والنفسية المتناثرة في كتب الفقه والأدب والأمثال الشعبية، وغيرها من أمهات الكتب التراثية. وفي هذا السياق، تشكل كتب الآداب السلطانية خزانًا ثريًا يحوي كمّا هائلا من النصائح في المجال السياسي على الخصوص، لأن تأليفها جاء في سياق إسداء النصح للحاكم، وبناء علاقة انسجام وتوافق مع رعيته، بهدف الحفاظ على أمن الدولة وهيبتها، وتحصين السلم الاجتماعي والاستقرار السياسي، وتجنب شرارة الفتن، والسقوط في براثن الفوضى، لذلك غصّت بالنصائح والتوجيهات والإرشادات للسلطة الحاكمة لبلوغ هذا الهدف.

وإذا كانت النصيحة تعكس جوهر كتب الآداب السلطانية بامتياز، فإن قراءة متفحصة في متونها، تكشف عن منهج فريد سار على هديه مؤلفو تلك الكتب، وهو منهج الاعتدال، القائم على أسلوب مُهذّب في تبليغ النصائح للحاكم، دون إحراجه أو خدش هيبته، بهدف تجنب فخّ الفتن، والحيلولة دون خروج المحكوم عن الحاكم، أو ظهور حركات احتجاج هوجاء تهدد الأمن الاجتماعي؛ وهو ما يجعلنا نتبنى فرضية قيام نصوص النصائح في الآداب السلطانية على مبدأ الاعتدال، بعيدا عن الانفعال والتهييج والاحتقان، وعن كل ما يسبّب الفتنة ويهدد السلم الاجتماعي، مما يشكل موضوعا يفتح شهية الباحثين، من أجل البحث والاستقصاء وتحليل تلك الأساليب المعتدلة، ودراستها دراسة تساعد على فهم نفسية الناصح والمنصوح، ويفتح أوراشا جديدة للبحث في بنية خطاب النصيحة الذي يعد أنموذجا من نماذج ثقافة الاعتدال.

وتأسيسًا على ذلك، فإن هذا البحث يسعى إلى إثارة عدة إشكاليات تطرحها النصائح الواردة في كتب الآداب السلطانية، يمكن اختزالها في ثلاثة أسئلة مركزية وهي:

١-ما هي مكونات ثقافة الاعتدال التي تشكّل منها خطاب النصائح الواردة في الأدبيات السلطانية؟

٢-ما هي المرتكزات التي تأسست عليها النصيحة في تلك المتون، وجعلت منها آلية من آليات إشاعة ثقافة الاعتدال؟

٣-ما هي الأساليب المعتدلة التي أسست بنية خطاب النصائح التي أسداها مؤلفو الآداب السلطانية للحاكم، بهدف خلق علاقة انسجام وتوافق بينه وبين رعيته، والحفاظ على الاستقرار والسلم الاجتماعي؟

نحسب أن الإجابة عن هذه التساؤلات، ستشكّل دلائل وقرائن ندافع بها عن أطروحة ارتباط النصائح الواردة في كتب الآداب السلطانية بثقافة الاعتدال.

أولاً: في البناء المفاهيمي للنصيحة ودلالات صلتها بثقافة الاعتدال

١/١-النصيحة: بنيتها اللغوية، مفاهيمها وصلتها بمبدأ الاعتدال

النصيحة مصطلح مشتق من الفعل "نصح"، ونصح الشيء كما ورد في "لسان العرب" معناه خلص، والناصح: الخالص من العسل وغيره، وكل شيء خلص فقد نصح. والنصح يأتي أيضًا في معنى نقيض الغش، ويقال نصحت له أي أخلصت وصدقت. ويأتي أيضًا في معنى طاعة أولي الأمر، ومن ذلك (نصيحة الأئمة: أن يطيعهم في الحق ولا يرى الخروج عليهم إذا جاروا)[١].

أما النصيحة اصطلاحا فهي إخلاص النية للشخص المنصوح له، وتحيل على كلمة جامعة مفادها حيازة الحظ للمنصوح له[٢]. وقد جاء ذكرها في نصوص القرآن الكريم باعتبارها رسالة كل الأنبياء، لذلك تكرر ورودها في سورة الأعراف في سياق حوار بعض الأنبياء كنوح وهود وصالح مع أقوامهم[٣]. والحوار الوارد في النص القرآني في حد ذاته يعكس

روح الاعتدال، لأنه لا يروم فرض الرأي على المخاطَب، بل يدعوه إلى التأمل واستعمال العقل والتدبر لبلوغ الهدف.

وفي نفس المنحى، وردت النصيحة أيضًا في الأحاديث النبوية حيث أثر عن الرسول (ﷺ) قوله: (الدين النصيحة)[٤]، وهو حديث صحيح جمع الدين كله في روح النصيحة، مما يؤكد المكانة التي تحتلّها في نظام العقل الإسلامي. ومما ينهض حجة على ما تشكله أيضًا من أهمية في حياة النبي عليه السلام أنه اشترط لقبول مبايعة جرير بن عبد الله له (النصح لكل مسلم)[٥]، وهو ما يحمل على القول إن التوجيه النبوي جعل من النصيحة مسؤولية يتحملها كل فرد داخل النسيج الاجتماعي.

وإذا فحصنا مفهوم النصيحة كما وردت في كتب الآداب السلطانية نفسها، تبين أنها تشمل تعريفين: أولهما تعريف مبسّط ومختصر أورده ابن رضوان يقول فيه: (النصح في الجملة فعل الشيء الذي به الصلاح)[٦]، وهو مفهوم يتوافق -رغم اختصاره -مع المعنى اللغوي، ومع المفهوم الإسلامي الوارد في النص القرآني والمتن الحديثي، علما أن مصطلح "الصلاح" هو أسلوب من أساليب الاعتدال في التغيير والارتقاء بالبشرية، لأنه يتأسس على مبدأ تقويم النفس وإصلاحها من الداخل، وعلى مسؤولية الضمير، وليس بإكراه خارجي مفروض.

أما التعريف الثاني فهو تعريف مركب، أورده الماوردي الذي جمع فيه كل ما يندرج في باب النصيحة بقوله: (ثم إن كل ما نزل الله في الكتاب وأجرى على لسان رسوله وأمر بأخذه واتباعه، ثم ما تواصى به الحكماء سلفهم لخلفهم وأولهم لآخرهم من حكمة بالغة أو كلمة نافعة أو موعظة شافية أو هداية مرشدة، فإنما هي نصيحة)[٧]. وقد يكون هذا التعريف أكثر تماهيا مع مبدأ الاعتدال، حيث جاء مشبعا بمصطلحات وتعبيرات تنطق بالحكمة والاعتدال والتعقل والرشد من قبيل:

-" ما تواصى به الحكماء".

-"الحكمة البالغة".

- " الكلمة النافعة ".

-"الموعظة الشافية"، و"الهداية المرشدة"،

ونحسب أن العين السليمة لا تخطئ في تصنيف مثل هذه الصيغ التعبيرية ضمن مفردات قاموس الوسطية والاعتدال. والحاصل أن مفهوم النصيحة كما ورد في المعاجم اللغوية، والنص القرآني ومتون الأحاديث النبوية والآداب السلطانية، يتولد من مبدأ التواصل بين الناصح والمنصوح، ومن نبل المقصد، والحوار البناء، وتبادل المشورة والرأي، والتأمل والتدبر من أجل سعادة الكائن البشري، وهو يتماشى مع أهداف ثقافة الاعتدال.

وللمزيد من إثبات الصلة بين النصيحة والاعتدال، نسعى لتشخيص مفهوم الاعتدال نفسه.

يأتي مصطلح "الاعتدال" في السياق اللغوي بمعنى (توسط حال بين حالين في كمّ أو كيف كقولهم جسم معتدل: بين الطول والقصر، وماء معتدل: بين البارد والحار، ويوم معتدل: طيب الهواء.... وكل ما تناسب فقد اعتدل). فالاعتدال بهذا المفهوم يحيل على معنى التوسط بين نقيضين، وعدم التطرف، ولذلك فسّره أيضًا بالاستقامة، فيقال (اعتدل الشعر: اتزن واستقام)، و(فرس معتدل: إذا توسطت غرّته جبهته فلم تصب واحدة من العينين، ولم تمل على واحدة من الخدين). والمعتدلة من النوق هي الحسنة المثقفة الأعضاء، فيكون الاعتدال بهذا المعنى مرادفا للتوازن والاستقامة، وعدم الاعوجاج أو الميل نحو الأطراف النقيضة[٨]، وهو ما يتوافق مع أهداف النصيحة التي تتوخى الاستقامة وتوازن الرأي، والابتعاد عن التطرف، وعن كل ما يسبب خللا في الاستواء، أو عطبا في التوازن والاستقامة. وتأسيسا على كل هذه المفاهيم، يتضح أن النصيحة تجسد مكوّنا أساسيًا من مكونات ثقافة الاعتدال.

بيد أن فحص البنية الدلالية للنصيحة، ستكشف أنها لا تعدّ مفردة صغيرة في المنظومة اللغوية، أو لفظا يحلّق في سماء الفقه والتربية والأخلاق والسياسة، بقدر ما هي نتاج تاريخي يرتبط جدليا بمنظومة الوسطية والبعد عن التطرف، والاستقرار والسلم الاجتماعي كما سنحلل في المحاور الموالية.

٢/١-الدلالات الرمزية لنصائح كتب الآداب السلطانية وعلاقتها بثقافة الاعتدال

أثبتت مقاربتنا اللغوية والتراثية السابقة صلتها بمفهوم الاعتدال، ونحاول في المبحث الحالي استنطاق المضمرات الدلالية الرمزية التي تكشف عن صلة النصائح الواردة في كتب الآداب السلطانية أيضًا بثقافة الاعتدال.

يجمع الباحثون في الآداب السلطانية أن النصيحة تشكل قوة اقتراحية، لكنها غير ملزمة، وتترك للمنصوح مساحة من التفكير والاختيار. ولعل هذا ما جعل بعضهم يستخلصون من تحليل متون الآداب السلطانية أنها لا تتجاوز مستوى التأثير في النفس بالعبرة[٩]، وأنها مجرد حقل معرفي خصص (لوعظ وإرشاد الأمراء)[١٠]، أو محض مرشد عملي عرض على الملوك بهدف تدبير حكمهم لبلوغ السعادة السياسية والأخروية[١١]. ولا

شك أن هذه الليونة التي تميز تعامل الناصح بالمنصوح، تنهض قرينة على صلة النصيحة بثقافة الاعتدال.

وإلى جانب هذه الليونة في التعامل، يبدو أن تسمية كتب الآداب السلطانية بمصطلح "الآداب"، لا تخلو من دلالات كذلك على اعتدال الخطاب الموجه نحو المتلقي أو الطرف المنصوح. فمصطلح "الآداب" يحيل على معنى قواعد اللياقة والكياسة والذوق واللباقة، وتفادي كل ما يخدش الحياء، أو يسبّب إحراجا للمخاطَب، ويناقض مفهوم الخشونة والرعونة، والتطاول وعدم احترام ما يستحق الاحترام، وتحاشي كل ما يجرح شخصية المُخاطَب وكرامته.

كما أن نظرة فاحصة لتركيبة عناوين تلك الكتب، وورود مصطلح النصيحة أو ما يماثله كعنصر أساسي في بنية العنوان، تؤكد ما تختزنه من رموز ودلالات حول الاعتدال أيضًا. وحسبنا أن بعضها يتضمن مصطلح "الإشارة " الذي يعني التلميح والإيحاء، وترك فرصة الفهم والتدبر للطرف المخاطَب دون إحراجه. وهذا ما يجسّده عنوان كتاب " الإشارة في تدبير الإمارة " للمرادي الحضرمي، وكتاب" الإشارة إلى أدب الوزارة" لابن الخطيب. ناهيك عن "الإشارات" المتعددة الواردة في الكتب التي سنعرض لها لاحقا. فمصطلح "الإشارة" يتضمن طابع الاعتدال، ويتبنى استراتيجية تقوم على تنبيه المنصوح بالإيحاء وإدراك المعاني المتوارية ومقاصد الخطاب.

وبالمثل، تحيل دلالة عناوين بعض كتب الآداب السلطانية على النور الذي يهتدي به الحاكم في تدبير حكمه، وإضاءة ما أشكل عليه من أمور الرعية، علما أن مفهوم النور هو رمز للاعتدال الذي يتبناه صاحب النصيحة، فهو لا يلوّح بسيف أو بسلاح فتاك في وجه المنصوح، وإنما يرسل له الضوء، وينير سبيله بهدف الإرشاد والهداية. وحسبنا أن النور في النص القرآني كما في الثقافة الإسلامية، يأتي كوسيلة لتحقيق الهداية[١٢] بطريقة لينة هادئة، لا تعتمد العنف اللفظي أو الفعلي. كما أن النور في الثقافة الكونية يرد كنقيض للظلام الذي هو رمز للشر والخراب والقتل والفتنة[١٣]. لذلك لم يكن من قبيل الصدفة أن يختار عدد من مؤلفي الكتب السلطانية رمز النور عناوين لكتبهم، ومن هذا القبيل "الشهب اللامعة في السياسة النافعة" لابن رضوان، و"سراج الملوك" لأبي بكر الطرطوشي. كما لم يكن من قبيل الصدفة أن يعتبر ابن الجوزي كتابه في السياسة (مصباحا مضيئا) لمن يريد من الملوك أن يهتدي بنوره.

وحتى في الحالة التي لم يستعمل فيها كتاب الآداب السلطانية مصطلحات مباشرة لمعنى النور في عناوين كتبهم، فإنهم عبّروا عن ذات الفكرة بشكل غير مباشر، باستعمال مصطلحات بعض المعادن النفيسة كالذهب أو التبر أو اللؤلؤ، وغيرها من أسماء المعادن النفيسة التي تصير بإشعاعها ولمعانها أشبه ما يكون بالنور. فالحميدي عنون كتابه ب "الذهب المسبوك في وعظ الملوك "، واختار الغزالي لكتابه عنوان "التبر المسبوك في نصيحة الملوك". واستعمل ابن عبد ربه في كتابه الموجه للسلطان مصطلح " اللؤلؤة"، فيما رأى ابن الحداد في كتابه " الجوهر النفيس في سياسة الرئيس" (جوهرا نفيسا يضيء طريق الملوك). والحاصل من هذه العناوين، أن كتّاب الآداب السلطانية وظفوا صيغًا تعبيرية تقدم كتبهم بأوصاف الذهب، أو أي معدن نفيس آخر يشعّ بلمعانه كما يشعّ النور[١٤]، تعبيرا عن الأمل في أن تكون نصائحهم مثل النور الذي يهدي ويرشد نحو الخير، بعيدا عن أي شكل من أشكال العنف والإكراه.

وإذا كانت عناوين كتب الآداب السلطانية تؤكد التوجه المسالم والمعتدل الذي تعامل به مؤلفو كتب الآداب السلطانية مع الحاكم عبر نصائحهم، فإن مقدمات تلك الكتب تفصح أيضًا على أن هذه النصائح التي يقدمونها للسلطان هي بمثابة هدية له. والهدية في حد ذاتها علامة على المحبة والتواصل، وعنوانا للاعتدال واللباقة التي يتعامل بها صاحب الهدية مع الشخص المهداة له، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بملك أو سلطان؛ وهو ما يزكيه قول الماوردي في مقدمة كتابه أن (الملوك أولى الناس أن تهدى إليهم النصائح، وأحقهم بأن يخولوا بالمواعظ)[١٥]. ويعضده الحضرمي المرادي في هذا التوجه عندما اعتبر النصائح تحفة يتحف بها السلطان[١٦]. فالهدية/التحفة بهذا المعنى، ترمز إلى تقدير الآخر، وتجسّد في ذات الوقت آلية من آليات فنّ التواصل المبني على الحب مع الجهة المتلقية للخطاب، وكلها معطيات تساهم في بناء ثقافة الاعتدال.

١/٣-سمات الاعتدال عند الطرف الناصح: الكاتب السلطاني

لا يتأتى الوقوف على قيمة النصائح الواردة في كتب الأحكام السلطانية وعلاقتها بمبدأ الاعتدال، إلا بالوقوف على مؤلفيها الذين يجسّدون الطرف الناصح، المتميز باعتداله ونضجه. وحسبنا أنهم كانوا من فئة العلماء والقضاة، ومن رجال الزهد والصلاح، وممن انغمسوا في عالم الحكمة والتأمل، وشربوا من

كأس الرصانة والأناة والتؤدة حتى الثمالة، واغترفوا من فيض الدين وحياض الأخلاق والوسطية، ما جعلهم بصفتهم الطرف الناصح يتسمون بالنضج والتوازن والاعتدال، وبالأسلوب المهذَّب في تبليغ النصائح للحاكم كما سيتبيّن من خلال عرض شخصيات كتّاب الآداب السلطانية المعتمدين في هذه الدراسة.

فحجة الإسلام الإمام الغزالي (ت سنة٥٠٥ هـ)، كان فريد عصره وقريع دهره، ومن صفوة النخبة العالمة المتألقة في العصر الوسيط، وأحد كبار الأدمغة التي تركت بصمة متميزة في الثقافة الإسلامية. ألف كتابه "التبر المسبوك في نصيحة الملوك" الذي يحوي ترسانة من النصائح الموجهة للسلطان محمد بن ملك شاه السلجوقي في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. ويغلب على الظن أنه كان يمتلك مشروعا يروم إصلاح الراعي والرعية بكل الطرق والأساليب المعتدلة. لذلك حين لاحظ فساد مجتمعه، بادر إلى تأليف هذا الكتاب، ناصحا السلطان السلجوقي المذكور بالحزم والهيبة، تجنبًا لضعف الدولة وخرابها وسقوطها، من دون أن يكون الحزم آلية للوقوع في شراك الاستبداد بالرأي، لأن الانفراد بالرأي، والميل إلى الغلبة بحد السيف، وغضّ الطرف عن النصيحة والمشورة، يتنافى في منظوره مع ثقافة الاعتدال والحوار، ويكون من أهم عوامل انهيار الدول وخراب العمران[١٧].

نفس الحكم ينسحب على الماوردي (ت. سنة ٤٥٠ هـ) صاحب كتاب "نصيحة الملوك"، فهو من أشهر علماء القرن ٥هـ /١١م، ومن الراسخين في قواعد القوانين الشرعية، وممن حلّقوا في سماء الفقه والأحكام بعيدًا. ولا يضير إن كان صاحب هذا الكتاب هو أبو زيد البلخي المتوفى سنة ٣٢٢هـ. كما ذهب إلى ذلك محقق الكتاب، فالرجل كان أيضًا من العلماء الذين يشار إليهم بالبنان. وقد عرف بعلو كعبه في مجال التأليف في الآداب السلطانية، واستطاع أن يجمع في كتابه بين الشريعة والفلسفة؛ وكان مقتنعا بالنصيحة كمنهج لإصلاح الراعي والرعية، حتى أنه نصح الملك بتقريب الناصح الأمين، وألا يحجب عنه أي ناصح جاء يطرق بابه ليمحضه النصيحة.[١٨]

وإذا صوّبنا النظر نحو كتّاب الآداب السلطانية في الغرب الإسلامي ممن تمّ اعتماد كتبهم في هذه الدراسة أيضًا، فإن أبا بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي، قاضي المرابطين (ت٤٨٩هـ) كان من نخبة العلماء المتميزة باعتدالها وبعد نظرها. وحسبنا أنه كان من أقطاب الفقه، ومن أهل الحلّ والعقد والتقدم والسابقة، ومن المتبحرين في علوم الشريعة، مما أهّله لتولي منصب القضاء في منطقة إزكي جنوب المغرب الأقصى.[١٩]. وقد عرف بزهده وقناعته، حتى أنه لم يتصل يوما بالأمير المرابطي يوسف بن تاشفين لينال حظوة أو جاها، رغم أن أبواب السلطة والثروة كانت مشرعة أمامه.

ويبدو أن قيمة كتابه "الإشارة في تدبير الإمارة " تكمن في أن تأليفه جاء بطلب من الأمير المرابطي أبي بكر بن عمر اللمتوني الذي كان متعطشا لاكتشاف ألغاز الملك وأسرار تدبير الحكم بعد أن ترك السلطة لصالح ابن عمه يوسف بن تاشفين[٢٠]، وهو أمر يحمل مغزى عميقًا لكون النصائح الواردة فيه جاءت ثمرة تأمل وتجربة. ولذلك يخيّل إلينا أن موقفه المعتدل من الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين، وعدم منافسته، أو دقّه طبول الحرب لاسترداد ملكه، لم يكن من قبيل الصدفة، بل من موقف الحكمة التي يكون قد استقاها من سطور هذا الكتاب الحافل بالحكم والإشارات، والدلالات العاكسة لبيداغوجية في أخلاق الاعتدال والرزانة، ومن ثم لا نستبعد تأثيره في تليين موقفه واعتداله الذي جعله يتنازل عن سلطته المفقودة لصالح الأمير يوسف بن تاشفين، خاصة عندما لاحظ تمكن الأخير من زمام الأمر، ولذلك اقتضت الحكمة والواقعية وقراءة الأحداث برؤية متزنة ومعتدلة، قبوله بالأمر الواقع درءًا للفتن والانقسامات.

لقد شكلت النصيحة والمشورة في تقديرنا عنصرين أساسيين في بنية تفكير وعقلية المرادي الحضرمي، وهو ما يستشف من خلال استناده إلى قولة لعلي بن أبي طالب يقول فيها: (والذي يستشير ولا يقبل من نصائحه، كالعليل الذي يترك ما يبعث له الطبيب، ويعمل ما يشتهي بغير علم)[٢١]. ولا شك أن الرجل الذي جمع بين العلم والزهد والتجربة والخبرة والمكانة وحصافة الرأي، ما يجعله طرفا ناصحا بامتياز، وعاكسا لصورة الكاتب الهادئ المتزن، الذي نهل من ينابيع ثقافة الوسطية والاعتدال.

وعلى نفس المنوال، كان أبو القاسم بن رضوان الأندلسي مؤلف كتاب "الشهب اللامعة في السياسة النافعة" رجلاً عالمًا زاهدًا، متسمًا بالصلاح والتقوى، وعلى جانب عظيم من الدين والخلق. لذلك نأى بجلده عن المؤامرات والدسائس التي شهدها البلاط المغربي خلال عهد السلطان أبي سالم المريني (٧٦٠هـ - ٧٦٢هـ)[٢٢]، واكتفى بمنصب القضاء فأجاد فيه، فكان النموذج الأمثل للعدل والنزاهة. وقد وصفه ابن الأحمر وصفا يعبّر عن شخصيته المعتدلة التي جمعت بين الزهد والصلاح والكفاءة في بذل النصيحة للسلاطين، فذكر أنه: (ولي القضاء والخطابة،

وسلك مسلك الصالحين، وكان للأمراء من الناصحين)[٢٣].

والراجح أن توليه منصب الخطابة، مؤشر دال على اعتماده أسلوب الوعظ والنصح والإرشاد في توجيه سلوك الأفراد والمجتمع. كما أن وصفه بالصلاح، يعكس فكره المضاد لكل أشكال التطرف والسلوك الأرعن، وميله لمعالجة الأمور باللين والموعظة الحسنة.

وقد ألف ابن رضوان كتابه في ظرفية عسيرة استبيحت فيها أموال الرعايا، وعمّ فيها الظلم وانفتحت أبواب الفساد[٢٤]، مما حدا بالسلطان المريني المذكور إلى أن يطلب منه تأليف كتاب يكون دستورا له، وهو ما ينهض قرينة على العلاقة بين التأليف في الآداب السلطانية، ومحاولة تجنّب الفتن، وخلق مناخ الاستقرار. لذلك استجاب ابن رضوان للطلب السلطاني عن طيب خاطر، فألف كتابه الذي استغرق أكثر من سنتين، وقدمه كباقة من النصائح للسلطان المريني لإعادة الأمور إلى نصابها، ورسم معالم حكم راشد، حريص على تثبيت قيّم السلم الاجتماعي. ومع أن هذا الكتاب يمكن أن يصنّف ضمن "الكتب تحت الطلب" التي تتحكم فيها معايير الكتابات السلطانية الرسمية، فإننا نحسب أن هذا الكتاب لا يندرج في هذه الخانة بدليل دفاع مؤلفه عن النصوح الصدوق غير المتملق للسلطان[٢٥].

والحاصل من تعريف مكانة مؤلفي الكتب السلطانية وموقعهم الاجتماعي والعلمي والأخلاقي، أن القاسم المشترك الذي ميّزهم يتمثل في كونهم ينتمون للنخبة العالمة، وهي الصفوة التي شربت من نبع ثقافة الاعتدال، ورجاحة الرأي، ونبل الخلق، وبعد النظر والتبصر في معالجة القضايا المستعصية بالتشاور والحوار والنصح. كما استطاعوا تجاوز أنانيتهم وشغفهم بالمناصب السياسية، وانخرطوا مقابل ذلك في مشروع إصلاحي يسعى إلى تحاشي الفتن، وبناء سلم اجتماعي تتوافق فيه طموحات الحاكم والمحكوم، وذلك عن طريق تقديم حزمة من النصائح للسلطة الحاكمة. كما أن المجتمع الإسلامي كان يكنّ لهم كل الإجلال والتوقير، بفضل المكانة المعنوية السامية التي وضعهم فيها الدين الحنيف[٢٦]، وحرصهم على اتباع التعاليم القرآنية التي تدعو إلى الوسطية والاعتدال واللين في الخطاب[٢٧]. لذلك عادة ما يضع المجتمع ثقته في العلماء، ويقبل أن يكونوا وسطاء بينهم وبين الحاكم، علما أن التوسط بين الراعي والرعية يحيل دائما على ثقافة السلم والتصالح، وإشاعة الثقة بين الأطراف، وكلها معطيات تحمل عددا من الدلالات حول ثقافة الحوار وقبول الآخر.

١/٤-الحكمة في نصائح الآداب السلطانية وصلتها بثقافة الاعتدال

لم يكن صدفة أن يعتمد مؤلفو الآداب السلطانية في تأثيثهم لثقافة الاعتدال على مرجعية الحكمة. ولا شك أن صلة الحكمة بالاعتدال هي تحصيل حاصل، وأمر لا يحتاج إلى دليل أو بيان، لأنها جوهر القوة العقلية العلمية التي تلجم الغريزة الحيوانية المفرطة المتحكمة في شهوة النفس الإنسانية، ورحيق الفكر الذي يوافق السلم ويمنع من التطرف.

لذلك جاء خطاب النصيحة مؤسسًا على نصوص الحكمة والتجربة التي أثبتت نجاعتها على مدى تعاقب الأجيال، مع ما تعنيه الحكمة من تبصّر وتأمل، وعدم اندفاع أو تهوّر في تقدير الأمور. فالمتفحص للنصائح التي كتبها مؤلفو الآداب السلطانية يجد نفسه أمام حكماء يخاطبون ملوكا، ويقررون أن الحكمة وحدها هي السبيل لبلوغ الحكم الراشد، وهو ما يؤكده الحضرمي في مقدمة كتابه بالقول: (فهذه ثلاثون بابا إذا حفظ الفطن منها كل يوم باب، لم يأت عليه الشهر إلا وحفظ صدرًا كبيرًا من الحكمة، وتعلم أصلا عظيما من السياسة)[٢٨]. ويقول في موضع آخر: (ولن تنال معالي الرتب إلا بالحكمة والأدب، وكل ما تهيأ من الجدود دون الحكمة ...فمن أحب المعالي أدركها بالحكمة، ومن أحب الحكمة أدركها بالنظر المنتظم)[٢٩].

ويعكس هذان النصان صيغة لفلسفة الحكم والتدبير، تقوم على التبصّر والحكمة[٣٠]، علما أن الحكمة هي عنوان الاعتدال والتوازن الذي يستدعي اتخاذ مواقف ليّنة غير متطرفة.

والراصد للنصائح الواردة في الآداب السلطانية، يستشف أن الحكمة شكلت مادتها الدسمة، ومن خلالها تنكشف الصلة العضوية بين الحكمة والنصيحة. وتكمن قيمة الحكمة في كونها وليدة التجارب الناجحة التي أثبت الزمن صحتها. لذلك أعطت كتب الآداب السلطانية للنصائح المستقاة من الحكمة قيمة توازي وزن الذهب، حتى أن الغزالي ربط النصيحة بهذا المعدن النفيس في عنوان كتابه الذي هو "التبر المسبوك في نصائح الملوك"، معتبرا أن الحكمة تشكل لبّ النصيحة وعمقها، وهذا ما يفسّر إفراد الباب الخامس من كتابه لذكر حلم الحكماء، مؤكدا أن الحكمة موهبة إلهية يهبها الله لمن يشاء من عباده[٣١]. وهذا ما أوضحه أيضًا محمد بن الحسن الحضرمي المرادي في مقدمة كتابه حين قال: (وإني وجدت أولى ما يتحف به الأحباب، وأجدى ما يتهاداه الأجلاء والأصحاب آدابا منظومة بحكم، وآراء مسبوكة تفهم، تكسب بها عقول الأولين، وتحفظ بها آراء

المتقدمين الذين اكتسبوها بالنظر، وجربوها بطول العمر، وأبرزوها من غيابات الجب، واكتنزوها كما يكتنز الذهب)[٣٢].

وعلى نفس المنوال، ينطلق ابن رضوان في نصائحه من الحكمة، وهو ما يتجلى في مقدمة كتابه التي افتتحها بالقول: (وجمعت من سياسة الملوك الأقدمين، وسير الخلفاء الماضين، وكلمات الحكماء الأولين ما فيه غنية للخاطر)[٣٣].

وشكّلت الحكمة الصينية بدورها منطلقا لكتاب الآداب السلطانية، ينهض حجة على ذلك ذكر الغزالي لقصة طريفة حدثت لملك صيني، تحمل بين طياتها كل معاني الحكمة حول العدل الذي هو أساس الاستقرار السياسي والسلم الاجتماعي[٣٤].

وتظهر النصائح أحيانًا في كتب الآداب السلطانية على شكل سلسلة من الحكم والأمثال، دون إبراز مصدر الثقافة التي اقتبست منها، لذلك استعملت في صيغة (قال بعض الحكماء) و(في بعض الحِكَم)[٣٥]، وفي (حِكَم الأولين)[٣٦]. وفي أحيان أخرى، تتمّ الإشارة إلى قائل الحكمة/ النصيحة، فنجده إما حكيمًا يونانيًا كأرسطو، أو أرسطاطاليس أو أفلاطون[٣٧]، أو شيخًا هنديًا يفيض بالحكمة، أو عبقريًا فارسيًا[٣٨]، أو زعيمًا مسلمًا محنكا مجربا كعلي بن أبي طالب، مما يؤكد كونية الفكر المعتدل الذي يتبناه كتّاب الآداب السلطانية.

وتأتي النصيحة في بعض الفقرات على شكل سردي يعكس مثلا من الأمثال المشهورة، علما أن المَثَل يعد وعاء للتجربة والخبرة، وغالبًا ما يرد المثل دون ذكر لاسم قائله[٣٩].

وبالمثل، اهتمت الأمثال الواردة في الآداب السلطانية بموضوع النصيحة والمشورة، فجمعت ترسانة من الأقوال الحكمية والأمثال السديدة التي شغلت الوجدان البشري عبر الزمن، للحث على ضرورة الأخذ بالمشورة، والاستماع للنصيحة والموعظة والاعتبار، ولذلك كثيرا ما وردت بعض الأمثال من قبيل (من شاور عاقلا أخذ نصف عقله)، و(إصابة التدبير يوجب بقاء النعمة)[٤٠]، وغيرها من الصيغ التعبيرية التي تجعل من المشورة والتعقل مكوّنين من مكونات ثقافة الاعتدال.

ثانيًا: مرتكزات النصيحة في الآداب السلطانية وسمات الاعتدال فيها

تأسست النصائح الواردة في كتب الآداب السلطانية على مرتكزات ننطلق في هذا البحث من فرضية صلتها بثقافة الاعتدال لتأكيد صحتها بعد ذلك. ويمكن عمومًا حصرها في ثلاث مرتكزات أساسية:

٢/١-البعد العالمي في نصيحة الآداب السلطانية سمة من سمات الاعتدال

يجمع الباحثون على أن الاقتباس من الفكر العالمي يحصّن الفكر من التطرف والإفراط في تمجيد الذات، ويستدعي التفاعل مع الآخر، باعتباره شريكا في إنتاج معرفة إنسانية خلاقة، تتوافق حولها الاتجاهات والمواقف، وينتفي فيها التعصب، طالما أنها تتبنى مشتركا حضاريا تتقاسمه الشعوب، وتسفيد منه الإنسانية جمعاء، ويقبل بالتعدد والاختلاف، وهو ما يؤدي إلى سلوك الاعتدال في المواقف، وقبول الآخر، والتعايش مع أفكاره.

في هذا المنحى عالج كتاب الآداب السلطانية المسلمون موضوع النصيحة كتراث إنساني عالمي، من دون التعصّب للمرجعية الإسلامية. وحسبنا أنهم نهلوا من التراث اليوناني والفارسي والهندي والصيني وكافة المشارب الإنسانية. لذلك لا غرابة أن نجد فقيها كالماوردي يصيغ في نصائحه الموجهة للملك محمد بن ملك شاه السلجوقي عبارات واضحة تؤكد انطلاقها من التراث العالمي، فنجده يذكر بين الفينة والأخرى ما يؤكد "استيراد" النصيحة من أفواه وأقلام حكماء من خارج مجال "دار الإسلام". بل كان أمينا في إثبات من نقل عنهم من كُتّاب الأمم الأخرى، واقتباسه من ثقافتها كقوله: (قال الإسكندر الحكيم) و(قرأنا لسابتام ملك الهند)، وفي (منشورات أفلاطون) وفي (مكتوب أمير نامه) و(قال أردشير)، و(قرأنا في رسالة أرسطاطاليس) و(وجدت في كلمة آل داود)[٤١]، وما في نظيرها من العبارات التي تكشف انفتاح كتاب الآداب السلطانية على الثقافة الكونية، دون تعصب أو شوفينية ضيقة تؤدي إلى التطرف في تمجيد الذات، ورفض تراث الآخر.

ومن خلال قراءة فاحصة في متون الآداب السلطانية، نستشف أن النصائح التي تحويها، تمتح روحها من ثلاث منظومات حضارية كونية، وهي المنظومة الإسلامية، والمنظومات الفارسية اليونانية والهندية والصينية.

فإلى جانب المصادر الإسلامية التي شكلت جوهر النصائح، اقتبس كتاب الآداب السلطانية نصائحهم من تجارب الفرس وحكمة اليونان وعقل الهنود، في مسعى لتطويع النصائح الواردة في الثقافات الأخرى، حتى تتساكن مع الثقافة الإسلامية، وتخلق منها وحدة عضوية يكون منطلقها إنسانيا كونيا. ولعلّ هذا ما عبّر عنه الماوردي عندما صرّح في مقدمة كتابه "نصائح الملوك": (لا نعتمد في شيء نقوله على هوانا دون أن نحتج لما نقوله فيه بقول الله جلّ وعزّ المنزل في كتابه،

وأقاويل رسول الله (ﷺ) المروية في سنته وآثاره، ثم سير الملوك الأولين والأئمة الماضين، والخلفاء الراشدين، والحكماء المتقدمين في الأمم الخالية)[٤٢]. ولعلّ عبارة " الأمم الخالية" الواردة في النص ما يؤكد الفكر الأممي الذي تميّز به هذا الكاتب السلطاني وغيره. ويقول في موضع آخر: (وقرأنا في سيرة العجم)[٤٣]، في إشارة إلى النصائح التي استقاها من مصدرها الفارسي، مما يدل على عالمية المنطلق الذي اعتمده في صياغة نصوصه حول النصيحة.

وبمعاينة نصائح ابن رضوان، يتضح أنه سعى بدوره إلى التوفيق في مرجعياته بين القيم الإسلامية وسير الملوك الأقدمين، وحكماء التراث اليوناني-الهلينستي. وحسبنا أنه استشهد فيما لا يقل عن خمسين موضعا من كتابه بنصائح وحكم ملوك الفرس مثل أردشير وسابور ويزدرجد. كما استشهد فيما لا يقل عن ثلاثين موضوعا حول العدل من أقوال أرسطو وأرسطاطاليس وأفلاطون وغيرهم. ولم يخرج المرادي الحضرمي عن هذا الاتجاه، حيث استشهد عدة مرات بأرسطاطاليس في النصائح التي بذلها لأميره[٤٤].

وتتنوع النصائح الواردة في الأدبيات السلطانية في مرجعياتها، وترتحل بين مجالات معرفية متباينة يتشابك فيه النص القرآني والحديث النبوي، مع الأقوال الفلسفية والتاريخ والحكم والأمثال الأجنبية مما يجعله خليطا من المرجعيات التي يوظفها المؤلف لإبراز قيمة النصيحة المقدمة للحاكم[٤٥]. لذلك نعتقد أن كتب الآداب السلطانية كانت تستهدف تقديم النصيحة كحصيلة من التراث الإنساني، ومن المعرفة الكونية، ما دام أن أحوال الأمم (متقاربة متشابهة) على حد تعبير الماوردي[٤٦]. ولا شك أن هذا البعد الإنساني يزيد من قيمة نصائحه، ويعطيها سمة الاعتدال والبعد عن التعصب لقبيلة، أو فكر قومي أو عنصر إثني، أو يتدثر بنظرية استعلائية. كما نحسب أن هذا المزيج من الفكر الإنساني المكوّن لبنية نص النصيحة يتضمن كثيرًا من مظاهر الاعتدال في الفكر، وفي تأثيث العلاقات الدولية وفق منطق التواصل والانفتاح.

٢/٢-المرتكز الشرعي للنصيحة في أفق تفاعله مع الواقعية السياسية المعتدلة

على الرغم من أن كتب الآداب السلطانية تندرج في جنس الأدب الفقهي، فإن منطلقاتها في النصيحة لم تقتصر على الأحكام الشرعية كما هو الحال في كتب الفقه الإسلامي، بل جمعت بين التصور السياسي والشرعي معا. فإذا كان التصور الشرعي يرى في الحاكم أداة لتحقيق الشرع، فإن التصور السياسي يرى فيه وسيلة لاستقرار الملك. ومن هذا المنطلق تصبح نصائح الملوك الواردة في كتب الآداب السلطانية مرجعية للاستقرار، والتعايش بين الشريعة وتدبير الشأن السياسي، وتحقيق هيبة الدولة وسلطتها في فرض السلم الاجتماعي. ففي كتب الفقه تنبث الأحكام الدينية والأوامر الإلهية، وتتكاثف الآيات القرآنية إلى جانب الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة، بينما تضاف إليها في الآداب السلطانية أحداث التاريخ، وتجارب الأمم والحضارات البشرية، بهدف تليين الحدود بين الشريعة والسياسة، بين المثل الدينية وإكراهات الواقع السياسي، وهو ما يتضح من مقدمات كتب الآداب السياسية ومضامينها.

وإذا كان المنطلق الشرعي يحتل قمة سلسلة التراتبات في الاستشهادات التي يسردها مؤلفو الآداب السلطانية حول النصائح التي يقدمونها للسلطان، فإنهم يربطون بين حكمة الشرع وقضايا المجتمع المدني والقيّم الإنسانية العادلة. ففي مبحث خاص حول ما يحتاج إليه الملوك من نصائح، يؤكد الماوردي على القواعد الشرعية المتمثلة في (الالتزام بالكتاب والسنة والإجماع)، وهي المصادر الأساسية للتشريع، ثم يسرد مجموعة من الآيات القرآنية التي تهتم بالقضايا المدنية السياسية وعلاقة الحاكم بالمحكوم[٤٧]، وهي صيغة توليفية تبرز بوضوح في كتابه، خاصة في مقدمة الباب السابع الذي خصصه لنصح الحاكم بالرحمة والعدل[٤٨].

وإلى جانب النص القرآني، يدعم الماوردي نصائحه بالسنة النبوية، وهو ما عبّر عنه بقوله: (فإذا تتبعنا بأمر الله آثار نبيه (ﷺ) وسيره ومغازيه، وجدنا فيه كل حكمة بالغة ومنقبة جليلة وفضيلة وأدب وحسن وقول متقن وأصل من أصول الدين قوي وعلم بيّن)[٤٩].

القول نفسه ينطبق على الإمام الغزالي الذي استلهم نصائحه في كتابه "التبر المسبوك في نصائح الملوك" من سلسلة من الأحاديث النبوية[٥٠]، ولو أنه كغيره من كتاب الآداب السلطانية لم يهتم بتخريج الأحاديث الشريفة وتوثيقها، لأن ما كان يهمه في المقام الأول، استثمار الحديث النبوي في خدمة الواقع، ومعالجة الأمور الدنيوية بنوع من الواقعية وحسن التقدير، ولو أدى ذلك إلى تأويل المتن الحديثي إلى ما يخدم مبدأ الاستقرار.

وعلى النهج نفسه انطلق ابن رضوان من عدد من النصوص التي ترجع بجذور النصيحة إلى العصر الراشدي، مشيرا إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب كان يعقد مجالس تغص بالشبان

والكهول لتبادل الرأي والمشورة[٥١]، وكأنه أراد بذلك أن يستخرج من التاريخ الذهبي الراشدي ما يثبت أهمية الإنصات للنصيحة كآلية للاستقرار الاجتماعي الذي تتوافق عليه مختلف الأجيال شبانًا وكهولاً، مجتمعًا وسلطة.

فضلاً عن القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وهي الأسس الشرعية التي شكلت منطلقا لنصائح الآداب السلطانية، فإن أقوال الصحابة والتابعين، وما جاراها من أقوال السلف الصالح شكلت منطلقًا أساسيًا في النصائح التي يسديها المفكر السلطاني للحاكم. وفي هذا السياق يقول الماوردي: (ينبغي للملك الحازم والسائس الصارم أن يتعهد قلبه بسماع آثارهم (الصحابة)، وقراءة سيرهم وأخبارهم وهديهم)[٥٢]، مما ينهض قرينة على أن المرجعية الصحابية شكلت خزانا استمد منه مؤلفو الآداب السلطانية مفهومهم للنصيحة، وإعطائها بعدها الشرعي المتفاعل مع التوجه السياسي في معالجته للواقع.

من ناحية أخرى، تتضافر النصوص التي أوردها مؤلفو الآداب السلطانية كوصايا وردت على لسان الأئمة الراشدين، مثل وصية عمر بن الخطاب لعامله أبي موسى الأشعري حول قواعد تعامل الراعي مع الرعية[٥٣]، ثم وصية علي بن أبي طالب لأبنائه الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية، وكلها عبارة عن نصائح توجيهية -في شكل أمثال وحكم -تحث على ضرورة الاستشارة، وعدم الاعتداد بالرأي الواحد والإنصات للناصح الأمين[٥٤]. ولم يبتعد ابن رضوان قيد أنملة عن هذا المنطلق الشرعي للنصيحة حين استشهد بالآية القرآنية {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ}[٥٥] للدلالة على أهمية الاستشارة. وأبان عن جدوى النصيحة في تحقيق الأمن النفسي للمجتمع عند استناده إلى الحديث النبوي (السعيد من وعظ بغيره)[٥٦].

ومع أن كل هذه الاستشهادات تؤكد المنطلق الشرعي للنصائح الواردة في الآداب الشرعية، فإن الكاتب السلطاني لم يضع نفسه يوما رقيبا على السلطة ومدى تطبيقها للشريعة، بل سعى من خلال نصائحه إلى تليين الفجوة بين السياسة والشرع، وتسخيرها لتكييف المجال السياسي، والتوفيق بينه وبين الشريعة، وهو ما حدا ببعض الباحثين إلى القول إنها نصائح واقعية تبتعد أحيانًا عن السياسة الشرعية[٥٧]، وأبرزوا نزعتها نحو السياسة العملية[٥٨] التي تحاول الملاءمة بين الشريعة، والسياسة المدنية.

ويستشف من ذلك أن كتب الآداب السلطانية سعت إلى التقريب بين السياسة الشرعية والسياسة المدنية، وتسخير الشريعة لخدمة الممكنات في السياسة، والتأقلم مع الواقع والمتغيرات، وتوظيف العقل في صياغة النصيحة لتحقيق مقاصد الشريعة في تفاعلها مع الواقع، وهو ما يعكسه قول ابن رضوان: (المشورة واجبة على كل ذي حزم، متعيّنة على كل ذي عقل)[٥٩]. وبناءً على ذلك، تصبح النصيحة منتوجا مركبا يولّف بين المنطلق الشرعي الذي يجعلها ملزمة بناء على أوامر دينية منزّلة، وتتفاعل في نفس الوقت مع رؤية الواقع بالعقل، في صيرورة متطورة للاعتدال بمفهومه الإسلامي، وتزيد من تماسك التوازن بين الثوابت والمتغيرات، وتسهم في حلّ الإشكاليات الكبرى المترسبة في ذهنية مجتمعية، وبذلك يتحصّن المجتمع من غلواء التأويل الديني المتطرف، ويتدثر بعباءة الانفتاح والاعتدال.

٣/٢-المرجعية التاريخية في نصائح الآداب السلطانية: (العبرة والتحذير من الاستبداد بالرأي والغلو في المواقف)

يشكل التاريخ بدوره إحدى المرجعيات الهامة التي اعتمدها خطاب النصائح السلطانية، إذ يحضر فيه النص التاريخي كواقعة جرت في التاريخ الإسلامي، أو في نصوص قرآنية حاملة لأخبار الأمم الغابرة بهدف العبرة والموعظة[٦٠]. ولا يخامرنا الشك في أن التاريخ وعاء للتجارب الكونية التي مرت بها البشرية، وعبرة للتدبر في الذات، واستخدام العقل لتجنّب كوارث الماضي، وتفادي مطبّاته ومنزلقاته. ونعتقد أنه كلما حضر التدبّر والتفكّر، واستعمال العقل للاستفادة من التاريخ، لتفادي عواصف الحاضر والمستقبل، كان ذلك دليلاً على استشراف طريق الاعتدال، وتجنب السقوط في مستنقع الجهل والغرور. لذلك لم يكن من قبيل الصدفة أن تتضمن كتب الآداب السلطانية أحداثا من التاريخ، للتحذير من الكوارث الكبرى التي كان سببها "الطغيان" و"العناد" و"الاستبداد بالرأي"، وغيرها من أشكال التطرف في المواقف التي حذّر منها مؤلفو كتب الآداب السلطانية بالأمثلة التاريخية.

لقد أورد هؤلاء في مقدمات كتبهم ما يشير إلى أهمية التاريخ كمعين للنصيحة، انطلاقا من تجارب الأمم، وحِكَم الأوائل، ودروس السلف، لأخذ العبرة من نوائب. في هذا المنحى يقول الماوردي مخاطبا الملك: (فمن قريب ما يجب أن يفكر فيه ويتدبره أن يتذكر أحوال القرون الماضين، والملوك الأولين الذين كانوا أشد منه قوة وأكثر جمعا وأبين آثارًا وأطول أعمارًا)[٦١].

وفي الاتجاه ذاته، يستند ابن رضوان إلى التاريخ في إسداء النصيحة، مشيرًا إلى أنه اقتبسها من (سياسة الملوك الأقدمين وسير الخلفاء الماضين)[٦٢]، مؤكدا أن كتابه جاء (محتويا على طُرَف من التاريخ الذي تتشرف النفوس إليه، وتشتمل القلوب عليه). كما وظّف الروايات التاريخية حول النصائح والاستشارات التي حدثت كوقائع في التاريخ، ومنها رواية تاريخية حول الخليفة العباسي هارون الرشيد، واستشارته لبعض الشيوخ أثناء حرب كان يخوضها، وعدم اكتفائه برأي واحد، لاتخاذ ما يراه مناسبا من الآراء[٦٣].

والجدير بالملاحظة أيضًا أن النصائح الواردة في الآداب السلطانية انطلقت من التراث الإسلامي المكتوب المتسم بالحكمة والروية والاعتدال، مثل مؤلفات ابن المقفع والحسن البصري، ومن التراث الشفهي المتمثل في أقوال العرب[٦٤]، ومن الشعر العربي الذي يحوم حول تجارب الماضين، والعبرة بالسِيَّر، والمرويات القديمة المقتبسة من شعر لبيد بن ربيعة بن مالك العامري، وصالح بن عبد القدوس الجدامي الذي كان من الوعاظ المعروفين في البصرة.[٦٥]

وعلى الرغم من بُعد الكاتب السلطاني عن صنعة المؤرخ[٦٦] لكونه لا يؤسس عمله على توثيق تاريخي دقيق، ومنهجية تتغافل منطق التطور الزمني، فأحسب أن استحضار الماضي في كتب الآداب السلطانية، وتبنى خطاب وعظي، كان الهدف منه إيصال رسالة إلى الحاكم، ومنه إلى الرأي العام، بأن السياسة لا تبنى من عدم، بل إن استرداد الماضي يساهم في رصد الأخطاء، والاستفادة منها لبناء الحاضر السياسي، واتخاذ المواقف المعتدلة السليمة التي تجنب الرعايا أهوال الكوارث والفتن، وانعكاساتها السلبية.

ثالثًا: أساليب الاعتدال في نصائح الآداب السلطانية

عبّر خطاب الآداب السلطانية عن أشكال متعددة من الاعتدال في منهج تبليغ النصيحة، وحسبنا أن المتفحص للنصوص المستعملة في تلك الكتابات، يلاحظ أن جل النصائح يغلب عليها الأسلوب المهذّب، المتشبّع بالحكمة والروية والوعي المتبصر، وهو أمر لا يدعو للاستغراب إذا علمنا أن الطرف الناصح ينتمي -كما أسلفنا الذكر -إلى النخبة العالمة التي كانت على وعي بما ما تبطنه النصائح من معاني ورموز ذات دلالات تصل إلى المخاطَب، من دون تجريح أو تطاول. ويمكن رصد جملة من أشكال هذه الأساليب المعتدلة:

١/٣-الوسطية والتعقّل

تتسم نصوص الآداب السلطانية وما تتضمنه من نصائح بسمة الاعتدال والوسطية. ففي كل صنف من أصناف السلوك البشري، يوجه كتّاب الآداب السلطانية دعوتهم للاعتدال والتوسط في الأفعال: في الكلام وضبط اللسان[٦٧]، في المطعم والملبس، في الليونة والبعد عن العنف[٦٨]. وينصحون الحاكم بالتعقل والتدبر قبل إصدار أي قرار، وهو ما نلمسه من خلال بعض التعابير التي استعملوها من قبيل (التقدير في العواقب)[٦٩]، و(حسن الظن بالصاحب، وتأويل الخير فيما يظهر من التقصير إن ظهر، والتماس العذر)[٧٠]، واستعمال الفطنة وبلوغ الأهداف (بألطف اللطائف)[٧١]. ويخيّل إلينا أن مثل هذه الصيغ التعبيرية التي تنطق بالليونة مع المخاطَب، وجودة التقدير وحسن الظن فيه، والتماس العذر له، وغيرها من الصيغ الأخرى الواردة في نصوص النصائح التي أتينا على ذكرها، تتضمن نفحة معتدلة واضحة المعالم.

وبالمثل، تتأسس النصائح السلطانية على مبدأ الوسطية الذي استلهمته من النص القرآني من جهة[٧٢]، ومن التراث اليوناني من جهة أخرى[٧٣]. في هذا السياق، نصح الماوردي سلطانه (بسلوك الواسطة وتجنب أطراف الفضائل.... والميل إلى ترك الإفراط والتفريط، فإن الطريقة المحمودة بينهما)[٧٤]. وفي الاتجاه نفسه، يتوقف المرادي الحضرمي بين أسطر كتابه لينصح الأمير المرابطي بأن يكون (على حد جميل من التوسط)[٧٥]. ولعلّ هذا ما حدا بأحد الباحثين في دراسة مقارنة بين كتّاب الآداب السلطانية المسلمين وميكيافيلي صاحب كتاب "الأمير" إلى الاستنتاج بأنهم يختلفون عنه ب (السلوك الوسط) الذي يقع بين الإفراط في اللين، أو القسوة التي تميز ميكيافيلي[٧٦].

والملاحظ أن نصوص النصائح السلطانية في كل أشكالها وألوانها، حافظت على مبدأ الطاعة للسلطان، ولم تصل البتة إلى نقطة التحريض أو التمرد عليه، وتغيير الوضع بالقوة، بل دافعت عن فكرة وجود السلطان والدولة، واعتبرتهما جزءا لا يتجزأ من العمران البشري، وبررّت وظيفتهما في اتقاء الفتنة، وكبح الطبيعة الحيوانية للكائن البشري، وهو ما يفرض -حسب منظورها-واجب الطاعة للسلطان لدرء الفتنة، حتى أن بعض الباحثين اعتبروا هذا الجنس الأدبي (مجرد صوت ينطق بالثقافة السلطانية)[٧٧]. فالكاتب السلطاني كان يسعى إلى إصلاح السلطة من الداخل عن طريق النصح والإرشاد والوعظ، متبنيا منهج الاعتدال الذي لا " يزعج " السلطان، ولا يدعو للخروج

عليه، ويحاول إقناع الأخير بـ " كفاءة " نصائحه ونجاعتها لتدبير حكمه.

٢/٣-أسلوب الملاطفة

إذا كان العلماء هم الصفوة المؤهلة لإسداء النصح للحاكم كما تذهب إلى ذلك كتب الآداب السلطانية، فإن هذه الأخيرة حددت معالم "خريطة طريق " لمخاطبة السلطان، اقترحت فيها لغة خاصة، تتسم بالمهارة التواصلية لضمان قبوله للنصيحة، وفي مقدمتها الملاطفة، واستعمال الكلمة الطيبة، وإظهار إشارات الحب له، ثم البدء بمدحه والثناء عليه عند تقديم بعض المطالب، وهي فكرة حاول ابن رضوان إبراز مرجعيتها القرآنية بالقول: (ومن حسن التلطف عند سؤال المطالب من الملك تقديم ثنائه ومدحه، اقتداء بما علّمه الله سبحانه عباده في سورة الحمد، إذ قدم سبحانه وتعالى حمده وثناءه على الطلب)[٧٨]. وفي نفس المعنى وظّف ابن رضوان رواية تاريخية تدور حول مقابلة جمعت عمر بن عتبة مع الخليفة الأموي الوليد بن يزيد حين ثار الناس عليه، إذ خاطبه بأسلوب ليّن مهذّب، نرى من المفيد إبراز نصه حرفيا، لما يتضمنه من سمات الاعتدال في التواصل مع الحاكم: (يا أمير المؤمنين، إنه ينطقني الأمن بك، ويسكنني الهيبة لك، وأراك تأمن من أشياء أخافها عليك فأمسكت مطيعا، أم أقول مشفقا، فقال له كل مقبول منك)[٧٩]. ويتبين من خلال هذا النص، اللغة المهذبة التي استعملها الناصح لتبليغ رسالته للمنصوح، فهي خالية من أي تهديد أو وعيد، بل أسلوب معتدل، فيه قبس من الفطنة والحكمة، مماجعل الخليفة الأموي يصغي إليه، ويقبل نصائحه[٨٠].

لقد قدم الأدب السلطاني أنموذجًا فريدًا في الاعتدال، واتباع الأسلوب المهذب في إسداء النصيحة، خاصة بالنسبة لشخص السلطان الذي له رمزيته وقيمته الاعتبارية في مخيال المجتمع. وتسمح قراءة نصوص الآداب السلطانية بالوقوف على مجموعة من العبارات التي استعملها مؤلفو الكتب السلطانية لتمرير نصائحهم للملوك، يتسم جلها بالأسلوب المهذّب الذي ينمّ عن جانب كبير من الحكمة والتبصر، ويكاد يخلو من صيغ العتاب واللوم والاستعلاء والسبّ والقذف، أو المجاهرة بالعصيان، والتحذير المبالغ فيه. وعلى العكس، يشعر المتأمل فيها برقّة لغة التواصل، والسعي لرفع مكانة السلطان، وإظهار الاحترام والتوقير له، وهو ما يمكن أن نستشفه من خلال الجدول التالي الذي سنعرض فيه بعض الصيغ التعبيرية الدالة على الأسلوب المعتدل في توجيه النصح للسلطان:

الصيغة التعبيرية المهذّبة التي مهّد بها مؤلفو كتب الآداب السلطانية تقديم نصائحهم للسلطان	اسم السلطان أو الأمير الذي وجهت إليه النصيحة	المصدر
أطال الله بقاءك في عز لا يزال الولي يحمده والعدو يحسده، وأدام الله ارتقاءك في مجد لا تزال الأيام تجدده، والتوفيق يوطده، وأتم بعمادك في شرف لا تزال الحكمة تعضده.	الأمير المرابطي أبو بكر بن عمر	**الإشارة في تدبير الإمارة للحضرمي، ص٥٣.**
اعلم يا سلطان العالم، ملك الشرق والغرب، أن لله عليك نعما ظاهرة وآلاء متكاثرة.	السلطان السلجوقي محمد بن ملك شاه	**التبر المسبوك في نصائح الملوك، للغزالي، ص ٦.**
فإذا استقبلتها (النصائح) بذهنك، وتأملت غوامضها بفكرك، واستعملت معانيها بجوارحك، مع ما رزقك الله من نجاحه، ووهب لك من رضائك، قل مثالك وجلت أحوالك وشرفت آدابك.	الأمير المرابطي أبو بكر بن عمر	**الإشارة في تدبير الإمارة للحضرمي، ص٥٥**

الصيغة التعبيرية المهذّبة التي مهّد بها مؤلفو كتب الآداب السلطانية تقديم نصائحهم للسلطان	اسم السلطان أو الأمير الذي وجهت إليه النصيحة	المصدر
الملك الفاضل والسائس الكامل، الملك في جلالة مكانه، وعلو مكانته	السلطان السلجوقي محمد بن ملك شاه	**نصيحة الملوك للماوردي، ص ٢٢١، ١٧١.**
اقتناء المعالي والمفاخر الثابت حديثها في المجالس العوالي، جريا على سنن أشرافه الكرام، وآبائه الخلفاء الأعلام الذين زها بهم الملك حين نشروا بالعز لواءه، وعمروا بالعدل والأمان أرجاءه.	**السلطان المريني أبو سالم**	**الشهب اللامعة لابن رضوان، ص ٥١. ٥٢.**

تكشف القراءة الأولية في الصيغ التعبيرية الواردة في الجدول أعلاه، والتي اقتصرنا عليها كنماذج، عن الأسلوب المهذّب الذي صيغ به خطاب النصائح الموجهة من قبل مؤلفي كتب الآداب السلطانية لأولي الأمر والحكام، وهو ما يمكن إعطاء الدلائل عليه من خلال الملاحظات التالية:

- الحرص على انتقاء أجود الكلام الذي يليق بسمو الملوك والأمراء وأولي الأمر لإيصال النصائح إليهم، وهو شكل أنيق من التواصل شبهه الكاتب السلطاني المرادي الحضرمي بالدرر، حين خاطب أميره أبا بكر بن عمر: (نظمت لك في هذا الكتاب دررا من آداب الإمارة والوزارة، وفصلت لك في ثناياه فصولا من أنواع الإدارة والاستشارة)[٨١].

- الاحترام والتقدير والإجلال عن طريق وصف السلطان المنصوح بأفخم الألقاب، إذ عادة ما تسبق النصائح ألقابا تتلاءم مع مكانة السلطان من قبيل (الملك الفاضل) و(السائس الكامل)، و(سلطان العالم)، و(ملك الشرق والغرب)، و(جلاله وشأنه وعلو مكانته)، وغيرها من ألقاب الفخامة التي تسبق توجيه النصيحة، بل ذهب الكاتب السلطاني ابن رضوان -زيادة في الإجلال والتقدير – إلى حدّ الدعوة لتقبيل يد الإمام العادل[٨٢]، كناية على صلة دعوته لقبول نصائحه بطاعة الرعية له.

- تلميع صورة الملك وتوشيحه بأفضل الخصال (كالنجابة) و(الرصانة) و(شرف الآداب) و(اقتناء المعالي والمفاخر) و(الجري على سنن الأشراف الكرام)، مع الإشادة بشرفه وشرف عائلته، وهو ما يتجلى في مقدمة ابن رضوان التي أعلى فيها من شأن عائلة بني عبد الحق المرينية الحاكمة[٨٣].

- الدعاء للسلطان قبل توجيه النصح إليه من قبيل (أطال الله بقاءك) و(أدام الله ارتقاءك في المجد)، فضلا عن الدعوة بالتوفيق واستمرار نعمة الملك التي وهبها الله إياه.

- لا يعتبر الكاتب السلطاني النصائح الموجهة للسلطان ملزمة له، بقدر ما هي دعوة للتأمل والتفكير، فإن شاء قبلها، وإن شاء غضّ الطرف عنها. بيد أنه يقدّمها له على أنها درر مفيدة تستدعي التفكّر فيها، وأن الأمير قادر بفطنته وذكائه على فك أبعادها ومراميها. ولم يستعمل عبارات الوجوب إلا في حالات الواجبات الدينية[٨٤]، وهي التي استعملها الغزالي بجرأته المعهودة. أما النصائح الأخرى، فكان يدعو فيها سلطانه للتأمل والتدبّر بالمنطق اليقيني كأسلوب حضاري راق، يرفع من مكانة الطرف المنصوح، وهو ما تترجمه المصطلحات التي استخدمها في خطابه مثل (أنظر)، و(اعلم وتبين)، و(اعلم وتيقّن)[٨٥]، وهي أساليب توقظ ضمير المنصوح من أجل التأمل والتفكر كطريق للاقتناع.

- ومن باب الاعتدال في النصح أيضًا أن مؤلفي الكتب السلطانية لم يطلبوا من السلطان قبول كل نصائحهم، بل الاقتصار على قسط منها إن اقتضى الأمر، وهو ما ترجمه المرادي الحضرمي بالقول مخاطبا أميره: (فعليك بهذه الفضائل إذا طقتها، وإلا فخذ ما أطقت منها، فإن أخذ القليل خير من ترك الجميع)[٨٦]. وعلى هدي هذه النبرة المعتدلة، خاطب الماوردي سلطانه أيضًا، ملتمسا منه أن يأخذ من نصائحه (على مقدار الجهد ومبلغ الوسع).[٨٧]

- استعمال أسلوب الرجاء والالتماس: يلاحظ أن مؤلفي الكتب السلطانية استعملوا أسلوبًا مهذّبا يدل على الاعتدال. فمع اقتناعهم بقيمة نصائحهم، وجدوى قبولها من قبل الحاكم

من أجل جودة تدبير سلطته، فإنهم قدموها له في شكل ملتمس ورجاء. يقول الماوردي في هذا الصدد: (فهذه خصال رجوت أن من أحذى عليها سيرته وساس بها رعيته، كان قد نال فضيلة السياسة وأدى حق المملكة)[٨٨]. فاستعمال الرجاء في الطلب، أسلوب معتدل يفيض أدبا، وينفذ إلى قلب المنصوح، ويترك فيه وقعا إيجابيا يجعله يقبل النصيحة.

٣/٣-أسلوب الإقناع

استخلصنا سلفا أن الصيغة التي كتبت بها نصائح مؤلفي الآداب السلطانية لأمرائهم وملوكهم لا تكتسي طابعا إلزاميا، لذلك، وحتى يقبل هؤلاء نصائحهم، سعوا إلى أسلوب الإقناع، ووظفوا لذلك آليات متنوعة تتسم بالاعتدال من قبيل:

- إظهار النصيحة كعربون لمحبة السلطان، وهو ما نستشفه من مقدمة كتاب "نصائح الملوك " للماوردي الذي صرّح أن (كتابنا هذا نصيحة للملوك وإظهارًا لمحبتهم، وإشفاقًا على أنفسهم ورعاياهم، ورجونا أن من وقع إليه كتابنا هذا بما فيه من صادق النصيحة وبليغ الموعظة، وأعطاه من عنايته حظه بالنظر فيه، والتدبّر له والإصغاء إليه، علم أن من أعظم أوليائه له نصيحة وأبلغ خدمة وأعونه له معونة)[٨٩]، وهو نصّ يفهم منه أن الماوردي وضع نفسه في مرتبة الخديم المخلص للملك، والصاحب المعين له، والساهر على مستقبله، والشغوف بمحبته، وكل هذه المظاهر من "التزلف" و"الخنوع"، آليات وأساليب معتدلة تمّ توظيفها من أجل إقناع السلطان بقبول النصائح الموجهة إليه.

وفي السياق نفسه، يرى الماوردي أن الله عزّ وجلّ أكرم الملوك بالصفة التي وصف بها نفسه حين قال جلّ من قائل: (فتعالى الله الملك الحق)، كما أكرمهم بدعوة الناس لطاعتهم[٩٠]. ونظرا لهذا التكريم الإلهي لهم، فإنهم (أولى الناس أن تهدى إليهم النصائح، وأحقهم بأن يخولوا بالمواعظ، وأحق الناس بقبول النصيحة وسماع الموعظة)[٩١]. فالماوردي يرفع من قيمة السلطان، ويبيّن له المكانة السامية التي وضعه الله فيها بين خلقه، وأن نصائحه بمثابة "هدية" يهديها للسلطان، ويأمل قبولها منه، وهو أسلوب في غاية الاعتدال والتودّد يروم إقناع المخاطَب، والحثّ على سماع النصيحة وقبولها في الوقت ذاته.

- اعتبار قبول النصيحة من كمال الدين، وهو ما يتبيّن من خلال سعي كتّاب الآداب السلطانية إلى جعل نصيحة الملوك ضمن الدائرة المرجعية الدينية، لما للدين من سلطة على الحاكم، فمهما بلغ شأن هذا الأخير، فإن فوقه قوة مالك الكون كما يقول الغزالي[٩٢]. فالنصيحة تصبح في نصوص الآداب السلطانية تذكيرا للحاكم في الجانب الديني بأنها "قدر" يسري عليه باعتباره مسئولاً عن أمة، وخاضعا لسلطة إلهية، فيصبح الإقناع هنا إقناعا "ملزما"، لكن بطريقة لا يشعر السلطان أنها مفروضة من سلطة بشرية، بل من مبدأ الرضوخ لسلطة الدين، والخضوع لناموس الكون وللسلطة الإلهية العادلة.

وللمزيد من الإقناع، فإن الكاتب السلطاني يذكّر السلطان أيضًا بأنه في حالة قبول النصيحة، سينال الثواب الإلهي والجزاء الأوفى، وكأن هذا الشطر الثاني من التذكير يتضمن تحفيزا لإقناع مزدوج الاتجاه بقبول النصيحة، إذ (ليس لأحد وإن جلّ خطره وعظم قدره ممن يجب أن يترفع عن استماع الموعظة وقبول النصيحة، لأنه إذا فعل ذلك، فاز بقسطه الأوفر وحظه الأجزل)[٩٣].

وفي سبيل الإقناع أيضًا، لم يتوان الغزالي عن تذكير السلطان أن الرسول (ﷺ) مع جلال قدره وعظم مكانته، أمره الله تعالى باستشارة أصحابه العقلاء، مستشهدا في ذلك بالنص القرآني {وشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}[٩٤]، وبالحكمة القائلة أن (من انفرد برأيه زلّ من غير شك)[٩٥]. كما وظف التراث الفارسي كأداة لإقناع سلطانه أيضًا حين نقل عن موبذان الذي عاش في عهد الملك الفارسي أنو شروان قوله: (لا يمكن حفظ السلطة إلا بالأصحاب الأخيار الناصحين المساعدين)[٩٦].

وبالمثل، استغل الماوردي رصيد معلوماته في الثقافة اليونانية لإقناع سلطانه بأن عظماء الملوك في التاريخ كانوا يطلبون النصح والمشورة، كالإسكندر المقدوني الذي كان دائم الطلب لأستاذه أرسطاطاليس بتوجيه النصح له[٩٧]. وكأن الماوردي يسعى بهذا السرد إلى "تدويل" واجب التجاوب مع النصيحة، بإقناع سلطانه أن نصح الحكام ليس شأنًا داخليًا فحسب، بل هو ظاهرة كونية مجربة وناجحة.

وفي المنحى ذاته، لم يفت ابن رضوان توظيف التاريخ الإسلامي لإقناع السلطان المريني أبي سالم بقبول نصائحه، لافتا انتباهه إلى تجارب من سبقوه من عظماء التاريخ، بأن سبب عظمتهم يكمن في استماعهم وقبولهم للنصائح المقدّمة لهم. ويورد في هذا الاتجاه روايات حول بعض الخلفاء الذين كانوا هم من يطلبون النصائح والموعظة من العلماء والصالحين مثل الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان الذي كتب إلى السيدة عائشة، يطلب منها الوصايا والنصائح[٩٨]، والخليفة عمر بن عبد العزيز الذي كان لا يشبع بالمواعظ، حتى أثر عنه أنه كلما حضر مجلس الشيخ أبي قلابة، كان يطلب منه الموعظة

تلو الموعظة، ويقول له (زدني)[٩٩]. وكذلك الحال بالنسبة للخليفة العباسي هارون الرشيد الذي كان يستمتع بمواعظ العلامة الفضيل بن عياض.[١٠٠]

وللمزيد من رفع سقف الإقناع لدى السلاطين، ذهب بعض مؤلفي الآداب السلطانية إلى استحضار نصوص سردية يدور موضوعها حول عدد من الخلفاء الذين تأثروا بالموعظة، إلى حد إجهاشهم بالبكاء من شدة التأثر[١٠١]، وذلك بهدف تقديمهم كقدوات للاحتذاء حذو النعل بالنعل، مما يكشف عن أسلوب "تربوي" ذكي نهجوه لإقناع الحاكم بأنه ليس الوحيد من الملوك الذين وجهت إليهم النصائح، بل سبقه العديد من العظماء الذين تقبلوها أو طلبوها بأنفسهم، ولذلك يصبح قبول النصيحة من جانب الحاكم فضيلة ومروءة، واقتداء بالسلف الصالح، وبكبار الشخصيات التاريخية الناجحة، وليس قبولاً قسريًا.

٤/٣-الأسلوب الإيحائي:

(توظيف الحكي والاستعارات في النصائح تجليّا من تجليات الاعتدال)

يأتي استعمال السرد الحكائي الرمزي في الآداب السلطانية كمنهج في الاعتدال عند تبليغ خطاب الكاتب السلطاني، وسعيه لعدم الجهر بالنصيحة في القضايا التي تحرج الحاكم أمام الرأي العام؛ لذلك جاءت النصائح في الآداب السلطانية في شكل مرويات تاريخية، أو مقتطفات من التراث الفارسي واليوناني والهندي والصيني، أو على شكل قصص يلعب الحيوان فيها دور البطل للتمويه، وهي في مجملها حكايات رمزية لا يهمّ الكاتب السلطاني إن كانت واقعية أو خيالية، لأن هدفه ينحصر في وضعها ضمن استراتيجية تحفيزية للسلطان من أجل استخلاص العبرة منها.

وتأسيسًا على ذلك، وإذا تجاوزنا قشور اللحظات الممتعة التي تطرحها الحكاية أو القصة، وغصنا في دهاليز مغلقاتها، تبيّن أنها نصيحة مبطنة، وموعظة غير مباشرة، أو حكمة وعبرة، أو رسالة موجة للحاكم[١٠٢]. لذلك ليس من قبيل الصدفة أن نجد في كتاب "التبر المسبوك في نصيحة الملوك" للإمام الغزالي عناوين جانبية من قبيل "حكاية" و"نكتة" و "إشارة لطيفة"[١٠٣]، وهي عبارة عن سرد حكائي مبسّط، يتوخى الموعظة والعبرة أيضًا. وهذا ما يفسّر النص الحكائي التي ختم بها الماوردي كتابه، ويتضمّن حوارا بين الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، ورجل من عامة الناس سمعه في الليل وهو يشكو من الظلم ومن فساد الزمان. ويدور موضوع الحكاية حول علاقة الراعي بالرعية، وضرورة أخذ الموعظة والعبرة بالغير.[١٠٤]

وفي الاتجاه ذاته، أورد المرادي الحضرمي حكاية رمزية ذات دلالة حول لصّ حاول سرقة بيت، ولكنه فشل وأصيب بكسر، وهي حكاية هدف المؤلف من ورائها إلى تمرير رسالة لأميره، مفادها أن الإنسان إذا سمع كل ما قيل له من غير تثبّت، يكون مآله مثل ذلك اللص -بطل الحكاية – الذي بدل أن يفوز بغنيمة السرقة، وقع على الأرض مكسورًا[١٠٥].

وفي إطار الاعتدال الذي يفرض تجنّب النقد المباشر للسلطان، واستخدام أسلوب التمويه في إسداء النصح في القضايا الخطيرة كالمسألة المالية، يستعمل الماوردي صيغة التعويم والتعميم، حيث لا يشير إشارة صريحة للسلطان، أو ما يفيد أن الخطاب موجه إليه مباشرة، بل يأتي بنصّ في سياق عام يتمحور حول وجوب التفريق بين المال الحلال والحرام، وضرورة معالجة الجانب المالي من وجهه الشرعي[١٠٦].

وفي نفس الاتجاه، نحسب أن المرادي الحضرمي استعمل حكمته وعقله في توجيه نصائحه للأمير أبي بكر بن عمر بصدد بعض الأمور الخطيرة حين التمس منه قراءة ما وراء السطور، والمسكوت عنه في النصوص والنصائح التي أوردها، معبّرا عن ذلك بالقول: (واعلم أنك إذا قست الأمور، فهمت المستور، وإذا فهمت المستور بلغت السرور)[١٠٧].

ومن الأساليب الدبلوماسية التواصلية التي وظفتها كتب الآداب السلطانية لتمرير النصيحة بطريقة غير مباشرة، استعمال الشعر أو ما يمكن تسميته بـ "بشعر النصائح"، الذي جرى توظيفه لإقناع الحاكم بتدبّر أحوال الملوك والشخصيات العظيمة في غابر الدهر. إنه شعر حكمي يفيض بالموعظة والعبرة، كما تعكسه قصيدة الشاعر لبيد بن ربيعة في قصيدته الحكمية التي تدور حول نصح الملوك بعدم الثقة في نوائب الدهر وتقلبات الزمن[١٠٨].

خَاتِمَةٌ

أسفر هذا المنجز البحثي عن إعادة ترتيب موضوع النصيحة وإدماجه ضمن المناطق التابعة لقلم المؤرخ، بعد أن ظلّ حكرا على مجال التربية والأخلاق والسياسة والآداب. واتضح من جماع هذه الدراسة أن النصائح التي تتضمنها كتب الآداب السلطانية تندرج في خريطة ثقافة الاعتدال، باستنادها إلى منظومة الفكر الكوني، والمشتركات الحضارية الإنسانية البعيدة عن التعصب والصدام، المؤمنة بالفكر الذي يخدم البشرية برمتها، والمبنية على التوافق في الأفكار، وانتقاء المبادئ الإنسانية الإيجابية من كافة الثقافات الإنسانية، بما يتيح التعايش والتآلف مع مرجعياتها الدينية والتاريخية والفلسفية.

وبالمثل، توغلنا في مسالك تحليل الدلالات الرمزية التي تضمرها نصوص النصائح الواردة في نصوص كتب الآداب السلطانية، لإثبات وجود روح الاعتدال التي تسعى إلى بناء سلم اجتماعي، يحول دون وقوع صدام بين السلطة والمجتمع. كما حللت الدراسة مكونات بنية النصيحة، وتفكيك استراتيجيتها القائمة على "خريطة طريق" تنهل من فلسفة الاعتدال والوسطية، وتتجلى في إظهار المحبة للحاكم، واستعمال الأساليب غير المباشرة في نصحه كالحكاية المرموزة والاستعارات، وهو المنهج الكفيل بنفاذ تلك النصيحة إلى قلب المنصوح وتقبّلها. فهل تقبّل السلاطين نصائح كتّاب الأحكام السلطانية؟ وهل أفلحت في إقناع "الراعي" بمنظومة الإصلاح؟ أم كانت مجرد ترجمة لإحساس "مثقف العصر الوسيط" بدور ما، يمكّنه من المساهمة في الشأن السياسي؟ أم أن الأمر لا يعدو مجرد لغو واستكثار من الكلام كما يذهب إلى ذلك ابن خلدون[١٠٩]؟ إذا كان جوهر الفرضية الذي طمحنا إلى إثباتها يكمن فيما يختزنه تراث الآداب السلطانية من نصائح تحمل علامات دالة على ثقافة الاعتدال، فإن مثل هذه الأسئلة المتعددة والمتناسلة قد تثير شهية الباحثين لفتح أوراش جديدة وخصبة، تحفّز على المزيد من الحفر والتنقيب.

الاحالات المرجعية:

(١) ابن منظور، محمد بن مكرّم، **لسان العرب**، ط ٨، دار صادر، بيروت ٢٠٠٨، مادة: نصح، مجلد ١٤، ص ٢٦٨-٢٦٩.

(٢) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق عبد العزيز بن باز، دار الفكر، بيروت ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م، ج١، ص ١٨٧.

(٣) قال الله تعالى على لسان النبي نوح: {**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ** مِنَ **اللَّهِ** مَا لَا تَعْلَمُونَ}، سورة الأعراف، آية ٦٢- وعلى لسان النبي هود: {**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ** أَمِينٌ}، سورة الأعراف، آية٦٨ – وعلى لسان النبي صالح: {**فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ** النَّاصِحِينَ}، سورة الأعراف، آية٧٩. وثمة آيات أخرى ورد فيها مصطلح النصيحة في القرآن الكريم تعكس فكرة الإصلاح.

(٤) مسلم، بن الحجاج، **صحيح مسلم**، اعتنى به وراجعه هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م، ص ٤٦.

(٥) البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الفجر للتراث، مجلدا، القاهرة ٢٠٠٥ م، ص ٢٤.

(٦) ابن رضوان، أبو القاسم المالقي، **الشهب اللامعة في السياسة النافعة**، تحقيق علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٤، ص ١٤٦.

(٧) الماوردي، علي بن محمد البصري **نصيحة الملوك**، تحقيق ودراسة فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٨، ص ٥٦.

(٨) ابن منظور، **لسان العرب**....م.س، مادة: عدل، مجلد ١٠، ص ٦٢، ٦٤.

(٩) العظمة، عزيز، **التراث بين السلطان والتاريخ**، عيون المقالات، الدار البيضاء ١٩٨٧، ص ٤٣.

(١٠) الجابري، محمد عابد، **العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي**، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، (د.ت)، ص ٦٥ - ٦٦.

(١١) أومليل، علي، "حول مفهوم المجتمع في الفكر العربي الحديث"، **المجلة العربية لعلم الاجتماع**، ج١، ع١، يناير ١٩٨٤، ص ١٩.

(١٢) قال الله تعالى: (**نُورٌ** عَلَىٰ **نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ** لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ)، سورة النور، آية ٣٥.

(13) Chevalier, (M), **Dictionnaire des symboles**, Robert Laffont, Pais 1991, p588- 589.

(١٤) العلام، عز الدين، **الآداب السلطانية، دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي**، سلسلة عالم المعرفة ٣٢٤، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، فبراير، الكويت ٢٠٠٦، ص ٤١- ٤٢.

(١٥) **نصيحة الملوك**..... م، س، ص ٤٤، ٤٥.

(١٦) المرادي الحضرمي، أبو بكر بن الحسن، **الإشارة في تدبير الإمارة**، تحقيق سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٩٨١، ص ٥٣-٥٤.

(١٧) أورد الإمام الغزالي هذا الرأي في شكل سؤال وجواب في قوله: (سُئل ملك كان قد زال عنه الملك... فقال: لاغتراري بالدولة والقوة ورضاي برأيي وعلمي وغفلتي عن المشورة)، انظر: **التبر المسبوك في نصيحة الملوك**، عرّبه من الفارسية إلى العربية أحد تلامذة أبي حامد الغزالي، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٨٨، ص ٧٨.

(١٨) نفس المصدر، ص ٢٨٢-٢٨٣. وحول حرص الماوردي على المشورة والأخذ بالرأي، انظر المصدر نفسه، ص ١٩٠ ـ ١٩١.

(١٩) انظر تقديم علي سامي النشار لكتابه الإشارة.....م.س، ص ٢٠. وعن ترجمته انظر: ابن الأبار، محمد بن عبد الله القضاعي، **المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي عبد الله الصدفي**، تحقيق فرانسسكو كوديرا وزايدين، طبعة مدريد ١٨٨٥، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٢٠) مقدمة علي سامي النشار لكتاب **الإشارة**....م. س، ص ٣١.

(٢١) المرادي الحضرمي، **الإشارة**....م، س، ص ٦١.

(٢٢) مقدمة علي سامي النشار لكتاب **الشهب اللامعة**.....م.س ، ص ١٦ـ١٧.

(٢٣) ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف، **مستودع العلامة ومستبدع العلامة**، تحقيق محمد بن تاويت ومحمد التركي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، المطبعة المهدية ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤، ص٥١ - ٥٢.

(٢٤) ابن الخطيب لسان الدين، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق/ محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٩٩٤ هـ/١٩٧٤م، ج١، ص ٣٠٧ـ ٣٠٨.

(٢٥) ورد أن ابن رضوان طلب من السلطان أن يكافئ فقط من يخلص له النصيحة، انظر: **الشهب اللامعة**...م، س، ص ١٧٠.

(٢٦) يقول الله تعالى عن مكانة العلماء: ((يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ))، سورة المجادلة، آية١١.

(٢٧) يقول الله تعالى: ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ))، سورة آل عمران، آية ١٥٩.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ٥٦.

(٢٩) المصدر نفسه، ص ٥٣.

(٣٠) سامي النشار، مقدمة تحقيق كتاب الإشارة للمرادي، ص ٣٢.

(٣١) الغزالي، **التبر المسبوك**.....م، س، ص ١٠٤.

(٣٢) المرادي الحضرمي، **الإشارة**...م، س، ص ٥٣- ٥٤.

(٣٣) ابن رضوان، **الشهب اللامعة**...، م، س، ص ٥٢.

(٣٤) الغزالي، **التبر المسبوك**.....م، س، ص ٢٠.

(٣٥) ابن رضوان، **الشهب اللامعة**.....م. س، ص ٩٣ـ ١٤٩.

(٣٦) المرادي الحضرمي، **الإشارة**... م. س، ص ٩٧ـ ١٠٧ ـ الغزالي، التبر المسبوك...م، س، ص ٥٠.

(٣٧) ابن رضوان، **الشهب اللامعة**....م، س، ص ١٠٧، ١٥٠.

(٣٨) عبّر الماوردي عن الحكمة الهندية بقوله: (وقرأنا لسابترم ملك الهند)، ص١٦١. وعن الحكمة الفارسية بقوله: (روي عن بزر جهمر بن التجنكار حكيم العجم)، انظر: **نصيحة**....م.س، ص ١٥٢، ١٦٢.

(٣٩) ابن رضوان، **الشهب اللامعة** .....م.س، ص ٩٥.

(٤٠) المصدر نفسه، ص١٤٩، ١٥١.

(٤١) الماوردي، **نصيحة**.....م، س، ص ٨١، ١٤٦، ١٥٢، ١٦١، ١٦٢، ١٠٨، ٢٥١، ٢٨١، ٣١٥.

(٤٢) المصدر نفسه، ص ٤٦.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ٣٩٦.

(٤٤) انظر على سبيل المثال كتابه: **الإشارة**....م.س ص ١٠٧

(45) Saaf (Abdellah), **Images politiques du Maroc**, Edition Okad, Rabat 1987, p15.

(٤٦) الماوردي، **نصيحة**....م.س ٨٥.

(٤٧) المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

(٤٨) المصدر نفسه، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٤٩) المصدر نفسه، ص ٢٠١،٢٥١.

(٥٠) الغزالي، **التبرالمسبوك**.....م. س، ص ١٥ـ ١٦ـ ١٧.

(٥١) ابن رضوان، **الشهب اللامعة**.....م. س، ص ١٥١.

(٥٢) **نصيحة**.... م.س ، ص ٩٢ - ٩٣.

(٥٣) ابن رضوان، **الشهب اللامعة**.....م.س، ص ٤٢.

(٥٤) من ذلك قوله على سبيل المثال: ((من أعجب برأيه ضلّ، ومن استغنى بفعله زلّ))، انظر المرادي الحضرمي، **الإشارة**...م، س، ص ٦١ ـ ابن رضوان، **الشهب اللامعة**....م. س، ص ٤٢٤.

(٥٥) سورة آل عمران، آية ١٥٩

(٥٦) ابن رضوان، **الشهب اللامعة**.....م. س، ص ١٥٠، والحديث ضعيف مرفوع، لم يرد بالصحيحين..

(٥٧) العروي، عبد الله، **مفهوم الدولة**، المركز الثقافي ـ العربي، الدار البيضاء ١٩٨١، ص ١٠٥.

(٥٨) القاضي، وداد، "جوانب من الفكر السياسي للسان الدين بن الخطيب"، **مجلة الفكر العربي**، عدد ٢٣، سنة ١٩٨١، ص ١٧٥.

(٥٩) **الشهب اللامعة**...م. س، ص ١٥٠ـ ١٦٠ـ ١٦٢.

(٦٠) يستشهد الماوردي ببعض الآيات القرآنية مثل: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ}، سورة الفجر، آية ٦-٧.

(٦١) الماوردي، **نصيحة**....م. س، ص ١١٢ ـ ١١٣.

(٦٢) ابن رضوان، **الشهب اللامعة**....م. س، ص ٥٢.

(٦٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٧ـ ٢٧٨.

(٦٤) المصدر نفسه، ص ١٥٤ـ ٣١١ـ ٣١٣ ـ الماوردي، **نصيحة**....م. س، ص ١١٦، ١٢٠ ـ ١٢١.

(٦٥) الماوردي، **نصيحة**....م.س، ص ١١٥ـ ١١٧.

(66) Laroui (Abdellah), **Islam et Histoire**, Albin Michel, Paris 1999, p28.

(٦٧) ابن رضوان، **الشهب اللامعة**.....، م.س، ص ٢٩١ـ ٢٩٢ ـ المرادي، **الإشارة**... م. س، ص ٧٣.

(٦٨) الماوردي، **نصيحة**.....م، س، ص ٢٤٩ وما بعدها، ص ٢٨٩ـ ٢٩٠.

(٦٩) المرادي الحضرمي، **الإشارة**... م. س، ص ٦٧، ٧٤ ـ الغزالي، **التبر المسبوك**.....م. س، ص ٢٧.

(٧٠) ابن رضوان، **الشهب اللامعة** ....م. س، ص ١٧٢ـ ١٧٣.

(٧١) المصدر نفسه، ص ٢٨٢.

(٧٢) قال الله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ **أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**}، سورة البقرة، آية ١٤٣.

(٧٣) العلام، عز الدين، **الآداب السلطانية**.....م. س، ص ٦٧ ويذهب إلى أن أفلاطون يرى في الوسطية تحقيقا للعدالة، كما يذهب إلى أن أرسطو يعتبرها فضيلة يحد طرفيها رذيلتان محتملتان.

(٧٤) الماوردي، **نصيحة**.....م. س، ص ١٩١.

(٧٥) المرادي الحضرمي، **الإشارة**.... م. س، ص ٨٩، ٩٠، ١١٩.

(٧٦) العلام، عز الدين، **الآداب السلطانية**.....م.س، ص ١٥١- ١٥٢.

(٧٧) المرجع نفسه، ص ٣٥.

(٧٨) ابن رضوان، **الشهب اللامعة** ....م. س، ص ٧٢.

(٧٩) المصدر نفسه، ص ١٤٥- ١٤٦.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ١٤٥، ١٤٦.

(٨١) المرادي الحضرمي، **الإشارة**.....م. س، ص ٥٥،٥٦.

(٨٢) انظر مقدمة كتابه **الشهب اللامعة**....م. س، ص ٥، ٥١.

(٨٣) المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(٨٤) الغزالي، **التبر المسبوك**..... م. س، ص ٦.

(٨٥) المصدر نفسه، ص ١٧، ٢٢، ٢٣، ٤٣.
(٨٦) المرادي الحضرمي، **الإشارة**....م. س، ص ١٦١.
(٨٧) الماوردي، **نصيحة**.....م. س، ص ٢٤٩.
(٨٨) المصدر نفسه، ص ٢٩٢.
(٨٩) المصدر نفسه، ص ٤٥.
(٩٠) المصدر نفسه، ص ٦٢، ٦٦، ٦٧.
(٩١) نفس المصدر، ص ٤٩.
(٩٢) الغزالي، **التبر المسبوك**....م. س، ص ٩.
(٩٣) الماوردي، **نصيحة**.....م. س، ص ١١١.
(٩٤) سورة آل عمران، آية ١٥٩.
(٩٥) الغزالي، **التبر المسبوك**،.....م. س، ص ٨٣.
(٩٦) المصدر نفسه، ص ٨٥.
(٩٧) الماوردي، **نصيحة**..... م. س، ص ٥٨.
(٩٨) المصدر نفسه، ص ٧٦.
(٩٩) المصدر نفسه، ص ٢٠.
(١٠٠) المصدر نفسه، ص ١٩ـ ٢٠. وحول وعظ الخليفة أبي جعفر المنصور، انظر المصدر نفسه، ص ٥٦ـ ٥٧.
(١٠١) ابن رضوان، **الشهب اللامعة**.....م. س، ص ٧٦ـ ٧٧ ٧٨ ؛ الغزالي، **التبر المسبوك**..... م. س، ص ٢٠.
(١٠٢) العلام، عز الدين، **الآداب السلطانية**..... م. س، ص ٧٨.
(١٠٣) الغزالي، **التبر المسبوك**..... م .س، ص ٦٧، ٧٢، ٧٣.
(١٠٤) الماوردي، **نصيحة**....م. س، ص ٣٩٧ـ ٤٠٠.
(١٠٥) المرادي الحضرمي، **الإشارة**....م. س، ص ١٣٧.
(١٠٦) الماوردي، **نصيحة**....م. س، ص ٢٩٤.
(١٠٧) المرادي الحضرمي، **الإشارة**.... م. س، ص ٥٨.
(١٠٨) مما ورد في هذه القصيدة:

فقولاً له إن كان يعقل أمره ألماّ يعظك الدهر أمك هابل
فإن أنت لم تصدق نفسك فانتسب لعلك تهديك القرون الأوائل

انظر الماوردي، **نصيحة**....م. س، ص ١١٥.
(١٠٩) ابن خلدون، **المقدمة**، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ص ٤٠.